حسين عمر دراوشة - جامعة غزة - فلسطين
عبد الكريم حسين الشرعة - جامعة آل البيت - الأردن

الثورة الجزائرية ودلالاتها في خطاب نصوص الشعر الفلسطيني

الملخص

يسعى هذا البحث إلى دراسة الثورة الجزائرية ودلالاتها في خطاب نصوص الشعر الفلسطيني، وذلك من خلال تسليط الضوء على مضامين الثورة الجزائرية في نصوص الأدب الفلسطيني ودلالاتها المبنية على الرفض والتمرد، والتنوير، ورسم النهج الثوري، واستنهاض الهمم، والفخر بمنجزات الثورة وأعمالها، ومن ثم الحديث عن لغة الخطاب الشعري الفلسطيني في الثورة الجزائرية ومرتكزاته التأويلية ودلالاته، وبيانها بإجراء مقاربات تحليلية من خلال إفرازات السياق وإنتاجاته الدلالية، فكشف البحث عن مضمون الخطاب وشكله من خلال استحضار نماذج شعرية من نصوص الأدب الفلسطيني،وتوضيح كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، ومن ثم خاتمة البحث وفيها نتائج البحث وتوصياته، وحواشي البحث.

الكلمات المفتاحية

الثورة الجزائرية، نصوص الخطاب، دلالات الخطاب، الشعر الفلسطيني.

Abstract

This research seeks to study the Algerian revolution and its implications in the discourse of the texts of Palestinian poetry by shedding light on the contents of the Algerian revolution in the texts of Palestinian literature and its implications based on rejection and rebellion, enlightenment and the revolutionary approach. And then talk about the language of the Palestinian poetic discourse in the

Algerian revolution and its explanatory elements and its implications, and its statement by conducting analytical approaches through the secretions of the context and its semantic productions, revealing the search for the content of the discourse and its form by evoking poetic models of the texts of Palestinian literature, H All the above descriptive analytical approach, and then the conclusion of the research and the results of the research and recommendations, and a catalog of sources and references.

Keywords:

Algerian revolution, texts of speech, semantics of speech, Palestinian poetry.

المقدمة

يعد الأدب من الوسائل التعبيرية التي تحمل في طيات أجناسها تصورات أهل الفن والإبداع ورؤيتهم لفلسفة الحياة ومجرياتها بأساليب متنوعة، فالأديب مرآة لبيئته؛ ويبرز دور الكلمة المقاتلة في ساحات الصراع والتحدي التي يفرضها الوجود الاستعماري على الأراضي المستعمرة من قبل قوى الظلم والطغيان، ففرنسا وحلفائها والكيان الصهيوني وداعميه، من الدول التي مارست العنف والظلم والإرهاب وقتل الآخرين وسحقهم، من أجل تحقيق الأطماع والنزوات الشيطانية، فهب الأحرار فامتشقوا سلاحهم وكلماتهم المشحونة بالحس الثوري والوطني والقومي، فالكلمة لها دور فاعل في الثورة والدفاع عن حياض الأمم والأوطان، فنجد أن الثورة الجزائرية المجيدة رسمت طريقاً لأحرار العالم، ومثلت تياراً للرفض والتمرد على ألوان الاحتلال والقهر والعذاب، فشكل بمجملها ومفصلها أنموذجاً تحريرياً يُحتذى به، وتركت بصمات واضحة في حركات التحرر في عالمنا العربي، وألقت بضلالها على الأدب الفلسطيني المقاوم.

ولعل أبرز ما يُطالعنا في الأدب الثوري أن الأديب يجنح في خطابه الشعري إلى تجسيد تيار الرفض والتمرد وتثوير الجماهير، وتنوير العقل العربي بضرورة كبح جماح الطغاة المستعمرين ومن والاهم، أما من ناحية اللغة فإن بنية نصوص الخطاب الثوري لها أساليبها وتقنياتها الكتابية ومشكلاتها التأويلية التي تسهم في تنظيم العلاقة بين دوائر الإبداع (المبدع، النص، المتلقي)، مما ينتج نصاً أدبياً ثورياً يضمن تفاعل أقطاب العملية التواصلية، مما يُسهم في إثراء الدلالة الأدبية في سياقات النصوص الثورية؛ لذا جاء هذا البحث ليبين معالم

الثورة الجزائرية ودلالاتها في خطاب نصوص الشعر الفلسطيني، ذلك من خلال النقاط الآتية:

أولاً-مضامين الثورة الجزائرية في نصوص الخطاب ودلالاته في الشعر الفلسطيني- مقاربات تحليلية.

آخراً-لغة الخطاب الشعري الفلسطيني في الثورة الجزائرية ومرتكزاته التأويلية ودلالاته- دراسة سياقية ومقاربات تحليلية.

وبيان كل ما سبق بالمنهج الوصفي التحليلي، وذلك باتخاذ نماذج شعرية من الأدب الفلسطيني، والتي تحدثت عن الثورة الجزائرية في أبنية نصوصها؛ وكل ذلك لاستجلاء معالم الثورة الجزائرية ودلالاتها في الإبداعي الأدبي والتجربة الشعرية الفلسطينية، وتقديم دراسة جادة وجديدة لمكتبة الأدب الجزائري والفلسطيني بشكل خاص، وللمكتبة العربية والإسلامية بشكل عام، نسأل الله التوفيق في العمل والسداد في القول.

أولاً- مضامين الثورة الجزائرية في نصوص الخطاب ودلالاته في الشعر الفلسطيني- مقاربات تحليلية.

ألقت الثورة الجزائرية بضلالها على نصوص الأدب الفلسطيني، فأذكت روح التمرد والرفض عند أبناء الشعب الفلسطيني؛ لأنه التجربة النضالية لأبناء الشعب الجزائري أثبتت نجاحها وأنارت نبراس الحق وسبيل الحرية أمام الفلسطينيين، فلا غرابة أن نجد استلهام مضامين ثورية ذات دلالات تتعلق بنيل الحرية والاستقلال، ورد الحق المسلوب، والذود عن حياض الوطن، ولعل أبرز ما يطالعنا في هذا المضمار إفرازات سياقات النصوص الثورية وما يتعلق بها من محاور ومضامين تشكل رؤية أهل الفن والإبداع للواقع في ضوء خصوبة التجربة الثورية الجزائرية أمام ناظر المبدع الفلسطيني المقهور الذي يحمل جرح شعبه ومآسيه ويعبر عن آهاته وويلاته التي تجرعها من المحتل وأعوانه، لذا جاءت المضامين تدور حول الموضوعات الآتية:

- بيان النهج الثوري المبني على التمرد والرفض، والتغني بمنجزات الثورة ضد الطغاة المستعمرين، ومن حط رحله في ركبهم،مما يبرهن على الروح الأدبية المتفاعلة والذات المبدعة التي تجسد رؤيتها للحياة، وكيفية التخلص من الظلم وجبروته، ونشر المبادئ الإنسانية الخالدة.

فالثورة طريق الأجيال لنيل الحرية والاستقلال، وإزالة الغمة عن أبناء الأمة المحتلين من قبل الأشرار الأوغاد؛ فتحدث الشعراء عن الشخصيات الوازنة من الثوريين الأبرار؛ فقال صخر أبو نزار في قصيدته"جميلة"01) :

مضيت كعصف المنون يدوّى كبركان تنفث منه الحمم
وسرت كنور يشق السبيل إلى المجد تبغين مجد الأمم
خطوت مُخلفةً بسمات الحياة إلى صرخات الألم

يتحدث الشاعر عن أيقونة الثورة الجزائرية تلك المجاهدة البطلة (جميلة بو حيرد) التي سامت الغزاة سوء العاقبة؛ نتيجة لعملها الثوري وصبرها الأسطوري، فشبها الشاعر بعصف المنور والبركان في ثورتها ضد الطغاة المحتلين، ونور يضيء الطريق أمام جيل الثورة، فيبين الشاعر (أبو نزار) طريق الثورة والثوار التي تطالب بالحرية والاستقلال، وزوال المحتل وجبروته، وتغنى شعراء الأدب الفلسطيني بالثورة الجزائرية وأفعالها ومجريات أحداثها، فقال برهان الدين العبوشي(02):

في المغرب الأقصى تأجج نارٌ *** وتكلم الرشاش والبتار
وتضمخ العربي في ساحاته *** بشذا النجيع وجندل الأحرار
(والتنك) يحصدهم وهم مثل الردى *** يتواثبون عليه إذ ينهار
والأرض قد شرقت بفيض دمائهم *** جادوا بها فكأنها أنهار
وبنو فرنسا سادرون بغيهم *** فكان من فتكوا بها أبقارُ
ما بال جيش(السين) نكس رأسه *** في الهند يوم مشى له الجبّار
يوم التقى الفولاذ لم *** ينفذ فرنسا فيه الاستعمار

يبين الشاعر قوة الثورة وعنفوانها الصلد في وجه الطغاة المستعمرين، ويندد بحال العرب المستضعفين الذين لم يهبوا لنصرة الثورة وأهلها، ويبن فِعال الثوار الأحرار الأبطال في ساحات الوغى وميادين النزال، ويؤكد الشعراء على ضرورة السير على نهج الثورة واقتفاء أثر الثوار في سبيل رد الحق المسلوب، وتحقيق النصر والحرية والتمكين على الأعداء الألداء، ويكشف لنا الشاعر عن التجارب الثورية التي أزالت جبروت المحتل وقهرت عنجهيته، فما أخذ بالقوة لا يسترإلا بالقوة، فلا بد من مقارعة المحتل لا أن نستجديه ونستعطفه، فقال يحيى برزق في قصيدته" من وحي ثورة الجزائر" (03):

يا فلسطين والجراح سخين وظلال الشقاء ملء المحاجر
والشفاه الصفراء ضاق بها الجوع وضمت بساكنيها الحفائر
واجتلي طلعة التحرر والعتق أضاءت على جبين الثائر
وقفي فوق صخرة النضال وحيي فتية روّعوا الطغاة الجبابر
وأحالوا ليل الجزائر فجراً عربي السنا ندي الأزاهر
وأعدي للتأثر كل الحناجر والدم الراعف الزكي الفائر

يرسم الشاعر النهج الثوري في ضوء تجربة الجزائريين الأحرار الذي أذاقوا المحتل الغاصب الويلات في سبيل تحرير البلاد والعباد من دنس الطغاة المحتلين، إن الشاعر يستجلي سبيل الثورة في سبيل التحرير والتحرر، ويخاطب بلد الثوار بلغة ثورية ذات مضامين تتمحور حول الانعتاق من ربقة الظلم وأعوانه، ويدعو إلى الثأر من طغمة الغزاة العابثين.

- انطلقت المضامين الثورية في نصوص الأدب الفلسطيني عند استحضار الثورة الجزائرية وفِعالها، من ذم الخيانة وأنصارها الطغاة المستبدين؛ فيقول برهان الدين العبوشي(04):

يستثمرون الضعف لكن إن رأوا *** فيه المَضاء تهيَّبوه وطاورا
فعلامَ لا يقوى الضعيف وقد رأى *** أن الحياة تسودها الأشرارُ
وإلام يبقى ابن العروبة خاضعاً *** وأخوه يُذبح في الحمى والجار

يطالعنا شعراء الأدب الفلسطيني بذكرهم الثورة الجزائرية؛ فيبينون الضعف والهوان الذي دب في جسد الأمة العربية، فلا يحركوا ساكناً أولئك الأشرار الذين استمرأوا الذل والانكسار أمام الطغاة الظالمين، فيتساءل الشاعر مستنهضاً أبناء العروبة، ومستهجناً من صمتهم المطبق الذي دب في الأرجاء، وكأن لسان حاله؛ يقول(05):

لقد اسمعت لو ناديت حياً *** ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو ناراً نفخت بها أضاءت *** ولكن أنت تنفخ في رمادي

ونهج الثورة لا يعرف لليأس طريق، ويشق طريق العزة بكل صلابة وعناد في سبيل تخليص شعوب أمتهم من الظلم والذل والهوان.

إن الأدوات الاستنهاضية التي سكبها الشعراء عند ذكرهم للثورة الجزائرية، بدت واضحة في بنية نص الخطاب ومضامينه ذات الدلالات والأبعاد المتنوعة، كل ذلك لتثوير الجمهور وإيقاظ الشعور الوطني والثوري عندهم؛ فيقول(06):

تبسمت رغم اسوداد السماء وصابرت رغم الليالي البليدة
وسرك في صدرك الغض باقٍ يغيظ كؤوس العذاب الشديدة

يتحدث الشاعر عن حال الثوار الأحرار من خلال مخاطبته لِـ"جميلة بو حيرد" تلك الشخصية الثورية التي ضربت أسمى آيات التضحية والفداء في سبيل رفع الظلم عن الوطن وبذل الغالي والنفيس من أجل الحرية والاستقلال، فالشاعر يصف لنا تلك الحالة الثورية والروح الوثابة المتفاعلة مع تراب الوطن الدافئ، والحفاظ عليه.

- إن النص الشعري الثوري يعبر عن المشاعر الإنسانية الخالدة، فالشعور بالثورة من أجل الحرية والحق والعدل هو من أسمى ما يمتلكه الإنسان الوطني المنتمي لأمته ولأبناء جلدته، فقلما نجد نصاً ثورياً يخلو من الحس النابض بطعم الحياة والحرية والاستقلال، فقال يحيى برزق(07):

حُملا مرارة تدب في الأغوار
كأنها يا حبنا الكبير
في أعماقنا نفجر الإعصار
وأنت في "وهران"
ونحن في البركان
يا حبنا نهفو إلى المطار
للموعد الفواح يوم ينجلي الغبار
ونلقتي
فنحن في المنفى هنا نكاد أن ننهار

يمزج الأديب في نصه شوقه وحنينه الجارف لفلسطين والجزائر بحس ثوري متفاعل، على أمل اللقاء والتجمع في أجواء من الألفة والحبة، فالإنسان الثوري لا يحتمل الهجران والفراق والبعد عن الوطن والأهل والأحباب، فروحه دوماً تهفو إلى العودة للوطن في بلاد الغربة، فلا عودة إلى الوطن إلا بطريق الثورة وجلاء المحتل وسحقه من الوجود، ولعل حلم الشاعر وفكره ينوي على ضرورة تفعيل الثورة وشحنها بالشعور الوطني المتفاعل النابع من المشاعر الإنسانية الخالدة، وقال يحيى برزق(08):

يا راحلاً ماذا فعلت بأكبد *** ولهتها في غدوة ورواح؟
بالأمس عدت إلى الحمى فتوثبت *** وتهللت بجبينك الوضّاح
ومضت نواكب في الدروب صباحها *** نشوى ببوح عبيره الفواح
واليوم راحت في "المسيلة" ترتوي *** بدموعها من لاهب الأقداح
يا بسمة التاريخ تتألق بالمنى *** لمعذب ومروع مكداح

يبكي الشاعر قادة الثورة وحلفائها، فنجد شعور الحرقة بارز في بينة النص الشعري، ولعل مشاعر الحزن والأسى والألم على فقدان رموز الثورة توحي بضرورة الصمود والتضحية والفداء وديمومة العمل الثوري ومواصلته، وعد حرف البوصلة عن طريق الجادة؛ لنيل الحرية والاستقلال، وهذا شكل محوراً دلالياً مبني على الصمود والتمرد في وجه الطغاة المغتصبين، والهدف من المضامين الموضوعية التي دارت حول الثورة الجزائرية في نصوص

الأدب الفلسطيني، تنوير الفكر العربي واستنهاض الهمم، برسم النهج الصحيح والرأي السديد؛ فقال برهان الدين العبوشي(09):

مراكش تشقى (وتونس) أعولت *** وابن الجزائر سامه الجزار

وأنا وأنت هنا نعاقر خمرةً *** أفلا يُحركا دمٌ أو دار

إن لم نَثُرْ في وجه ظالمهم فلا *** كنا من الإسلام بل كُفّارُ

لعل الحس القومي بدا واضحاً في ثنايا الخطاب الشعري الثوري الذي أطلقه الأديب العبوشي، والتأكيد على نبذ الخنوع والانغماس في الملذات والسعي وراء الشهوات، ونفض غبار الذل والمهانة، والثورة في وجه الطغاة الظالمين من أجل السير على النهج السليم في نيل الحرية والاستقلال، فطريق الثورة والاستقلال معبدة بدماء الشهداء وأنات الجرحى وآهات الأسرى، فمن يطلب الحسناء لا يغليه المهر، فطريق الثورة تستوجب البذل والتضحية والفداء والعطاء، فتعد الثورة من أنبل المشاعر الإنسانية السامية، ففيها يضحي الإنسان الوطني بنفسه من أجل رفعته وإضاءة الطريق أمام الأجيال الواعدة؛ لكي ينعم أبناء الشعب بالأمن والطمأنينة والرخاء، فمكتسبات الثورة ونتائجها تسهم في بناء الأوطان ورفعتها، ولعل الثورة الجزائرية خير شاهد على ذلك، فأهل فلسطين وأدبهم ما زال يتغنى بالثورة الجزائرية وتمجيد فِعال الثوار الأبطال من الجزائريين الذين قضوا على طريق ذات الشوكة، فلذلك جاءت مضامين الثورة الجزائرية في الأدب الفلسطيني للتثوير المبني على الرفض والتمرد، وتنوير العقل العربي من أجل نيل الحرية والاستقلال.

آخراً-لغة الخطاب الشعري الفلسطيني في الثورة الجزائرية ومرتكزاته التأويلية ودلالاته- دراسة سياقية ومقاربات تحليلية.

لا يقف الفن الشعري خاصة على دلالات اللغة الوضعية بل إنه يقوم بعملية خلق جديد للأشياء معتمداً على تركيباته اللغوية حيث يبتعد عن فكرة البعد الواحد فنستطيع أن نرى أبعاداً متعددة من خلال القصيدة، ومن هنا ندرك أن القصيدة لا تحتمل معنى محدداً بل إن معانيها تتخلق في السياق العام(10)، لذا يلعب السياق دوراً بارزاً في إنتاج الدلالة، والمساهمة في إثراء دلالات النص ومعانيه داخل بينة الخطاب من خلال تشكيلاته وتقنيات كتابته، مما يسهم في توسيع دائرة التأويل أمام جمهور المتلقين، ويضفي على النص هالات دلالية تسهم في حيويته وإعادة خلقه من جديد، وإيصال رسائله وتبليغ مقاصده، فارتكز أدباء فلسطين في عند ذكرهم للثورة الجزائرية على بنية لغوية ونسقيات كتابية أنتجت لنا نصاً متفاعلاً، تتمثل في:

الإيحاء الصوتي المعبر عن الحالة الثورية وزفراتها ومشاعرها، التي تضطرم في صدور الأبطال، وتجيش بها نفوسهم في ساحات الوغى وميادين القتال، فتحدث الشاعر صخر أبو نزار عن "جميلة بو حيرد"؛ فيقول(11):

أضفت إلى جيش تحريرها سجلا عريقاً بأسمى المفاخر

وسجن كرمس عتيق به قبعت كمقعد بين المقابر

يلاحظ أن الأصوات الواردة في بنية الخطاب هي أصوات صفيريةتنفيسية تبين عن مشاعر الأحرار وهممهم الثورة، وأصوات مقلقة تبين الحالة النفسية التي يكون عليها أهل الثورة من حركة وتأهب واستعداد، وأصوات تكرارية تؤكد على أن الثوار يحملون هموم أوطانهم، ويسعون إلى نيل الحرية والاستقلال وتحقيق آمال الشعب وأحلامه.

والاعتماد على بينة الفعل وكثافته في نصوص الخطاب الثوري، مما يجعل لغة الخطاب تنسجم مع المقصد النص المنجز، وهذا يسهم في تآلف النص وإثراء دلالاته أمام المتلقي؛ فيقول صخر أبو نزار(12):

تناجين منه قلوب الأباة وتزجين للثائرين البشائر

وألقيت نورك يهدى القلوب وأسدلت خلف الظلام الستائر

لقد وردت بنية الفعل خمس مرات(تناجين، تزجين، ألقيتِ، يهدي، أسدلتِ)، ولعل الحقول الدلالية التي تنطلق منها هذه الأفعال تتمحور حول الرفض والتمرد ورسم الطريق الثوري والنهج السليم أمام أبناء الشعب العربي، علاوةً على ما تضفيه الأفعال من حركة وحيوية ونشاط وتجدد استمراري في مضامين نصوص الخطاب وأبنيته المتفاعلة.

واستخدم الشعراء في استحضار الثورة الجزائرية في نصوص الخطاب الشعري، حروف التسويف التي تدلل على المستقبل، وتبين بأن النصر حليف الثوار؛ فيقول الشاعر صخر(13):

جميلة يا زهرة أينعت لتذبلها قحة المجرمين

ستبقين فوق الأعالي أريجاً يفوح إلى أبد الآبدين

صور الشاعر العنفوان الثوري في نفوس الجماهير وصورة الثوار الأحرار في عقلياتهم، فسين التنفيس: فمختصة بالمضارع، وتخلصه للاستقبال(14)، وتدلل حروف الاستقبال مع الفعل المضارع على الثبات والاستمرار على طريق النصر والتمكين، وأن قوى الظلم والطغاة مصيرهم إلى زوال، وأن أحلامهم في اغتصاب مقدرات الآخرين ما هي إلا سراب خدّاع، وقال صخر(15):

لك العهد منهم حماة الجزائر فالنصر أو ستدوم المجازر

يبين الشاعر مكانة الثوار الأحرار ومستقبلهم، فاستخدام حروف الاستقبال مع الأفعال المضارعة(تبقين، تدوم)، يوحي بالإيمان الثوري النابع من قيم الأحرار وعاداتهم، التي تأبى الاستسلام لقوى الظلم والاستكبار، وتعمل على نشر العدل والإحسان والخير والجمال، بهمة إنسانية عالية، فالأمل في البناء والتحرر من المغازي السامية للثورة، ولا غرابة أننا نجد الثوار يثقون تماماً بأن النصر حليفهم والمستقبل لهم(16).

وظف الشعراء تقنية التناص من خلال استخدام استدعاء الشخصيات التاريخية والتراثية التي ساهمت في مسرة الثورة والتمرد على الظلم والطغيان؛ فقال برهان الدين العبوشي(17):

يمشون للموت الزُّؤام كما مشى *** أجدادهم والطارق المغوار

وظف الشاعر التناص التاريخي عند حديثه عن الثورة الجزائرية، بذكره ما قدمه الأجداد من أمثال طارق بن زياد الذي حرر بلاد الأندلس في المغرب العربي، وهذا التناص أسدل على النص معانٍ جديدة تمثلت في مناصرة الثورة وأهلها، والانتقام من الظلمة وأعوانهم، ونشر كلمة الحق ونشر الفضيلة ومجابهة الحكام الطغاة وبطانتهم الفاسدة، وكشف عن التضحية والفداء عند الثوار الأحرار.

يعد التناص في استحضار الشخصيات في نصوص الخطاب الثوري من الروابط النصية التي تسهم في فاعلية الخطاب، وتزيد من حيويته عند المتلقي، مما يشكل مرجعيات نصية متفاعلة في لحظة التلقي تنور فكر المتلقي وتوصل رؤية الأديب للحياة ولطبيعة الثورة، وتبلغ رسائل نصوصه، فقال صخر(18):

جميلة يا خفقةً من فؤاد العروبة أنت فتاة الجزائر

أضفت إلى جيش تحريرها سجلا عريقاً بأسمى المفاخر

إنها نبضات قومية ثورية انطلقت من تمجيد فِعال الثوار الأبطال من أبناء هذه الأمة، وتاريخها التليد، مما يبرهن على مصداقية الفعل الثوري ومنجزاته، إن استدعاء الشخصيات التراثية في خضم الخطاب الثوري، إن الشاعر في توظيفه للتراث لا يسعى إلى الاستعانة بحقائق التاريخ ومضامينه، بل ويعمد إلى المضامين البارزة فيه، فيمنحها بعداً عاماً تتجاوز عصرها ويحقق لها قدرة التواصل الحي مع العصر الراهن، لتبرز بسماتها المميزة كما كانت في عصرها(19)، وأكثر من ذلك لتتفاعل مع مجريات الحاضر الثوري.

ترتبط تقنية التكرار في الخطاب الشعري بطبيعة الفعل الثوري الذي يعبر عمّا تجيش به نفوس الأحرار الأبطال في الساحات والميادين؛ فقال برهان الدين العبوشي(20):

سائِل حمى(عكاء) يوم تسللوا *** عنها لواذاً تجتبيهم نارُ

سل عن فرنسا الشام أو بيروت أو *** سائِل جيوش (الريخ) يوم أغاروا

وظف الشاعر التكرار من خلال استخدامه لمشتقات الفعل(سئل)، والمتمثلة في :(سائل، سل، سائل)، كل ذلك يوحي بقوة شكيمة الثوار في مواجهة قوى الظلم والبغي من الفرنسيين الذين احتلوا الشام وعاثوا فيه فساداً وخراباً، ويُلاحظ أن الشاعر في الخطاب الثوري،" يعمد إلى استخدام التكرار لتقوية ناحية الإنشاء أي ناحية العواطف كالتعجب والحنين والاستغراب والتوكيد"(21)، ويتعامل مع بنية التكرار في ظل نطاق التأسيس أو التقرير، لكنه تحرك بينهما صانعاً لنفسه أشكالاً جديدة ودلالات غزيرة، ساعده في ذلك طبيعة القالب الموسيقي للشعر الحر واتساع رؤيته وقدرته مع هذا التكتيك، "فالشاعر المعاصر يعمد عمداً إيرادياً إلى انتخاب حروف تتكرر بعينها في كل بيت، يحدث تكرارها أصواتاً وإيقاعات موسيقية معينة، ويعمد كذلك إلى تكرار كلمات بعينها يتخيرها تخيراً موسيقياً خاصاً لتؤدي بجانب دورها في بناء الصورة الشعرية إلى توفير إيقاع موسيقي خاص"(22)، فالتكرار يحتوي على إمكانيات تعبيرية يستطيع الشاعر من خلالها أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، وذلك لا يتم إلا إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه، وإلا فإنه سيتحول إلى تكرار مبتذل لا فائدة منه(23).

إن طبيعة الأسلوب من المكونات الرئيسة في توصيل رسائل النص الثوري، فالأسلوب الذي ركن إليه الشعراء في خطابهم الثوري يغلب الإنشاء على الخبر ويرتبط ذلك " بما يؤديه من معانٍ ثورية في بنية نصوص الخطاب الشعري، ومضامينه الثورية ومتعلقاته"(24)، والسبب وراء ذلك يكمن في أن الإنشاء طلب، أي أنه يبحث عن التحرر ونيل الاستقلال، فوظف الشاعر أسلوب النداء؛ فقال صخر(25):

جميلة يا نغمةً في الخلود تغذي وتبعث فينا الهمم

أيا نغمة في طريق الفخار طريق الدموع طريق الشمم

ارتكز الشاعر على بيان صورة (جميلة بو حيرد) بأسلوب النداء الطلبي الذي يفيد" طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة ينوب كل حرف منها مناب الفعل "أدعو"(26)، فيقصد من ذلك الإقبال على طريق الثورة والثبات والتمسك بها، رغم توالي المحن.

واستخدم الشعراء أسلوب الأمر في استعراض الثورة الجزائرية في بنية نصوص الأدب الفلسطيني؛ فيقول يحيى(27):

ارفعي طرفك المخضب بالطين بعيداً إلى سماء الجزائر

وظف الشاعر أسلوب الأمر(ارفعي) في حواره الدرامي مع (جميلة بو حيرد)، مما فتح قنوات اتصال متفاعلة تسهم في حيوية التلقي، فأسلوب الأمر يفيد "طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام"(28)، فالشاعر بحسه الثوري يطلب أن يبقى الثوار على طريق ذات الشوكة؛ لاستعادة الديار من قبضة الطغاة الظالمين وكنس المحتل الغاصب وأعوانه.

ووظف الشعراء أسلوب التوكيد في بنية نصوص الخطاب الشعري الثوري؛ ليبرز المعنى ويوضحه للمتلقي، فقال صخر(29):

لَئِن قيّدوك لَئِن عذَّبوك فروحك تبسم فوق القمم

لقد وظف الشاعر اللام وحرف (إن) لتوكيد المضمون الثوري الذي أراد أن يبينه للمتلقي، وهذا يبرهن على حتمية التمرد والرفض للظلم والطغيان في جبلة الإنسان.

استخدام اللغة المجازية في بينة الصورة في نصوص الخطاب الشعري، تشي بالروح الثورية المتمردة، فقال صخر(30):

دموعكِ كالغيث تُحيي الجزائر تبعث فيها حياةً جديدة
وآهاتكِ الدافئات كروحٍ تعيش عليها المروج السعيدة
بريق مآقيك بالبشر ينطق رغم عذاب القلوب العنيدة

شبه الشاعر شخصية (جميلة بو حيرد) الجزائرية الثائرة، بـ(الغيث، والروح)، فالجامع بين المشبه والمشبه أيقونة الحياة واستمراريتها فالثورة كالغيث الذي يحيي الأرض المجدبة وحمل الهموم والآهات خير زادي يلهب حشا الثوار الأحرار، وركن الشاعر إلى توظيف المجاز بحس ثوري متمرد عند شبه بريق مجرى دموع جميلة بأن ينطق ويتكلم بما يوحي بأنها تحمل هم أبناء وطنها وأمتها المكلومة، فتوظيف المجاز في بنية القصيدة المقاتلة ليس مجرد أسلوباً تعبيرياً، إنه يشير في بنية القصيدة إلى حاجة النفس لتجاوز الحقيقة، أي لتجاوز المُعطى المباشر، وهو إذن وليد حساسية تضيق بالواقعي، وتتطلع إلى ما وراءه، فهو حركة نفي ثوري للموجود الراهن بحثاً عن موجود آخر يطمح الثوري إلى الوصول إليه وتحقيقه، فنلاحظ أن القصيدة المقاتلة في بنيتها الشعرية، كونت لغة تشويق للبحث، ولمعرفة المجهول، ولتحصيل الكمال، فهي أوسع من أن تنحصر في حدود الواقع المعطى "إن فيها بعد اللانهاية، في مجال التعبير، الذي يستجيب لبعد اللانهاية في مجال المعرفة"(31)، ولعل ذلك مرتبط بالفلسفة الثورية المبنية على الرفض والتمرد، وبرز بوضوح الترميز الكنائي المجازي تعبير فني في بنية نص فني، تتسم لغته بالغنى الدلالي، وفضاء غير يسير السباحة فيه، لذا فالمتلقي يقوم بدور فعّال في استنطاق هذا التعبير، حتى يتجانس مع مراد المبدع الذي اجتهد في إبداع هذا النمط من الأساليب التي رأى فيها إشباعاً لظمأه الفني من ناحية، وإشباعاً لرسالته من جهة

أخرى(32)، ويتدخل السياق في القصيدة الثورية ليقوم بدور كبير ورئيس في تحديد ماهية الفضاء الكنائي(33)، الذي هو بطبيعته مجازياً.

وكل ما سبق يدلل على دقة ما استخدمه الأديب من تشخيصٍ "يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي ترتقي فتصبح حياة إنسانية تشمل المواد والظواهر والانفعالات، وتهب لهذه الأشياء كلها عواطف آدمية، وخلجات إنسانية تشارك بها الآدميين، وتأخذ منهم وتعطي، وتتبدى لهم في شتى الملابسات، وتجعلهم يحسون الحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يتلبس له الحس"(34)، ويستخدم الشعراء التشخيص للإشارة إلى " خلع الصفات والمشاعر الإنسانية على الأشياء المادية المحسوسة والتصورات العقلية المجردة"(35)، وهذا التجسيد أسهم في فهم المقصد وبيانه وتجليته بثوب قشيب وبطريقة تفاعلية تُقيم الصلة مع جمهور المخاطبين.

وارتكز أدباء الشعب الفلسطيني عند ذكرهم للثورة الجزائرية ومجرياتها إلى توظيف مرتكزات لِـ"تأويل النصوص بطريقة تفاعلية تسهم في زيادة الوعي بالنص ومعانيه"(36) مما يضمن فاعلية تلقي رسائل النص وتبليغ مقاصده، ومن التقنيات التأويلية التي وردت في بنية نصوص الخطاب الشعري الثوري، علامة الحذف؛ فقال صخر(37):

ومن فوق (أوراس) صاح النّداء .. لتحيا جميلة تحيا الشهيدة

استخدم الشاعر مرجعيات تداولية تسهم في فعالية العلاقة بين المبدع والنص والمتلقي كاستخدام علامات الحذف وأسلوب الاستفهام غير محددة إجابته ويتفاعل نقط الحذف والإضمار، حيث اصطلح علماء العربية على الإشارة إلى الكلام المحذوف أو المضمر بثلاث نقط (...)،وظف الشاعر ظاهرة الحذف في ثنايا قصيدته الثورية؛ لتوصيل معاناتهم إلى المتلقي إحساساً منهم بأنه قد يدرك ما يرمون إليه، ويستطيع إدراك المحذوف في قصائدهم وتقديره(38)، ولكن الشائع عند الكتاب والأدباء اليوم استخدام نقطتين؛ لإعطاء القارئ أو السامع فرصة لترقب بقية المدلولات، ويحفزه على التفكير في أسباب التعمية – الإضمار - فتنثال التأويلات لتوحي بالكيفية التي تستعصي على الإدراك المادي أو الحسي، وهنا تصبح فاعلية الخطاب ذات قيمة تداولية كبرى تخلق عملة تفاعل تواصلي متجدد(39).

واستخدم الشعراء أسلوب الاستفهام غير محدد الإجابة؛ ليسهم في فاعلية النص وإعادة قراءته من جديد بطريقة حيوية متفاعلة؛ فقال صخر(40):

جميلة كيف قهرت الزمان وسطرت نفسك في الخالدين
وكيف سطوت على الخافقات وصارعت كيف عوادي السنين
وسرت مع المجد فوق الشموس يكللك الغار فوق الجبين

أطلق الشاعر من خلال هذا الأسلوب العنان للمتلقي لكي يفكر في الإجابة، وهو بذلك يضمن فاعلية تلقي النص وتأثيره على المتلقين، فالمدقق للنظر في أدوات الاستفهام يجدها تتجاوز وظيفتها المحدودة "وكأنها مراوحة بين الخارج في تساؤل تخاطبي، وبين الداخل في تساؤل ذاتي"(41)، مما شكل مرتكزاً تأويلياً متفاعلاً، أسهم في توسيع دلالات النص وإعادة الحيوية له من خلال دائرة المتلقين.

ووظف الشعراء علامة التأثر كمرتكز تأويلي عند حديثهم عن الثورة الجزائرية، وذلك للكشف عن مدى الحس الشعوري المسكوب في أبنية نصوص الخطاب، وهذا يسهم في تفاعل المتلقي مع رسائل المبدع ونقل مشاعره وأحاسيسه؛ فقال برهان الدين العبوشي(42):

وإلام يبقى ابن العروبة خاضعاً *** وأخوه يُذبح في الحمى والجار

أفلم يفده عِبرةً ما حلَّ في الـ (م) قدس الشريف أم كفاه العار!؟

يستنهض المبدع المشاعر الثورية والوطنية في خضم حديثه عن الثورة الجزائرية، فتوضع علامة التأثر بعد الجمل التي تعبر عن الانفعالات النفسية(43)، وبرز دورها في بيان أهمية المضمون النصي الذي حوته القصيدة، فهو يتحدث عن الضياع والتشرد والمآسي والقتل والتشريد وترك للمتلقي أن يتخيل ذلك مختتماً ذلك بعلامة التأثر؛ ليدلل على عمق الأسى وثخانة الجرح الذي ألم بهذا الجسد المنهك من الحروب وموجات الصراع(44)، ولكن الأمل بالنصر وقوة النفس الثوري بأفعالهم وأقوالهم، هي زاد الثوار الأحرار.

ومن أبرز المظاهر في لغة الخطاب الشعري ذكر المكان في بينة الخطاب الثوري، وأنسنته وفتح حوارات معه وتوسيع دائرته، يدلل على حب الوطن والتمسك بتراب الوطن ووحدة أراضيه؛ فقال يحيى برزق(45):

من الأوراس صرختنا *** تعالت يا فلسطين

إليك تهزنا الفصحى *** ويذكي حبنا الدين

جزائرنا التي انتفضت *** على الباغي براكين

إن المحلل للمكان في العمل الأدبي يقوده إلى "تحديد طبيعة الفضاء النصي فيها؛ لأن الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من المكان، فهو أمكنة النص كله، إضافة إلى علاقاتها بالحوادث ومنظورات الشخصيات، حتى إن اقتصر العمل على مكان واحد وبدا ظاهره مغلقاً عليه وحده، ولكن التدقيق فيه يدل على أنه يمكن التمييز بين فضاء مركزي وفضاءات فرعية تشكل شبكة علاقات متداخلة معقدة"(46)، بمعنى أن القصيدة الثورية المقاتلة زاخرة بالفضاءات المركزية والفرعية التي تشكلت العمق الثوري والإيمان بالقضية والوعي الوطني بكامل أبعاده.

هذه أبرز الظواهر اللغوية والمشكلات التأويلية التي بُنيت عليها نصوص الأدب الفلسطيني عند ذكر الثورة الجزائرية، ونَقَلَ الخطاب الشعري لنا مشاعر المبدعين وأحاسيسهم، وكشف لنا عن رؤية الشعراء لطبيعة الصراع والثورة، المبنية على الرفض والتمرد والتثوير، وتنوير عقول أبناء الشعب والأمة والبشرية جمعاء بضرورة مواجهة الظلم ونشر الحق والعدل والحرية والاستقلال أمام الأطماع الاستعمارية التي تهدف إلى النيل من مقدرات الأمم والشعوب، فالناظر إلى بنية النصوص يجد فيها التناغم الحقيقي بين شكلها ومضمونها وما يحويه كل منهما تقنيات كتابية وأساليب لغوية ومرتكزات تأويلية ذات رسائل ودلالات؛ تسهم في تنظيم العلاقة بين دوائر الإبداع(المبدع، النص، المتلقي) وإعادة الحيوية للأدب وفنونه في فلك الثورة من أجل الحرية والاستقلال وتقرير المصير.

النتائج والتوصيات

توصل هذا البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وذلك على النحو الآتي:

أولا- النتائج

1- تمحورت مضامين الثورة الجزائرية في نصوص الخطاب الشعري الفلسطيني، حول الرفض والتمرد وتنوير العقل ونشر الوعي بضرورة كنس الظلم وأعوانه.

2- التغني بأمجاد الثورة ومجرياتها ورموزها في التضحية والفداء، ورسم النهج الثوري للفلسطينيين في ضوء التجربة الثورية الجزائرية من أجل نيل الحرية والاستقلال.

3- الثورة من أنبل المشاعر التي يجابه بها الإنسان الظلم والطواغيت، فأهل الجزائر وفلسطين أحرار أبطال قارعوا المحتل في ساحات النزال وميادين الوغى؛ من أجل العيش بحرية وكرامة على ثرى الوطن كباقي شعوب الأرض.

4- أردفت الثورة الجزائرية نصوص الأدب الفلسطيني محاور وموضوعات وأفكار موضوعية وفنية، أسهمت في فاعلية بنية النصوص عند جمهور المتلقين.

5- وظف الشعراء في نصوص خطابهم الثوري، بنية أسلوبية وتقنيات كتابية ومشكلات تأويلية؛ تهدف إلى تثوير الجمهور ونقل المشاعر الوطنية والقومية لهم؛ من أجل السير على طريق الجادة وقهر المحتل وجبروته، مما أسهم في إنتاج بنية نصية تتسم بالحيوية في توصيل الرسائل وتبليغ مقاصد النصوص لجمهور المتلقين.

6- يتسم النص الثوري باللغة الشاعرة التي تحوي في طياتها درجات بيانية ذات منحى تصاعدي يعمل على شحن الشعور لدى المتلقين.

7- تميزت نصوص الخطاب الشعري الفلسطيني في الثورة الجزائرية، شموليتها على درجة عالية من المقصدية التي تحدث عن قضايا الثورة ومجرياتها، مما ينقل للمتلقي فلسفة

التمرد التي تقود إلى نيل الحرية والاستقلال، وتدعيم المشاعر الإنسانية الخالدة كالحق والعدل والحرية والاستقلال ونبذ الظلم والطغيان.

ثانيا- التوصيات

1- دراسة رؤية أهل الفن والإبداع للثورة الجزائرية ومتعلقاتها، للمساهمة في الكشف عن دور الأدب وأجناسه كفن في مقارعة الظلم ومقاومته له.

2- عقد ندوات فكرية ومحاضرات إرشادية وأيام دراسية ومؤتمرات علمية وملتقيات ثقافية وتكثيف هذه التظاهرات العلمية الجادة حول الثورة الجزائرية ومكنوناتها ودورها في بناء الإنسان الجزائري، وانعكاساتها على أبناء الشعوب الأخرى.

3- جمع الشعر الثوري الجزائري في دواوين وأسفار عظيمة؛ لينهل منها الباحثين والدارسين وتكون لهم خير معين.

الهوامش

01. أبو نزار، صخر(1998): قصائد مختارة، مطبعة المستقبل، ط1، رام الله، 33.

02. العبوشي، برهان الدين(2009):فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للمجاهد الراحل(برهان الدين العبوشي)، إعداد: سماك العبوشي، وحس العبوشي، دار مؤسسة فلسطين للثقافة، ط1، دمشق، 101.

03. برزق، يحيى محمد(2012): الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، جمع وإعداد: مخلص يحيى برزق، مؤسسة بيت فلسطين للشعر، ط1، دمشق، 801/2.

04. العبوشي، فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للمجاهد الراحل(برهان الدين العبوشي)، 101.

05. الشوكاني، محمد(1993): نيل الأوطار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، ط1، القاهرة، 103/4.

06. (أبو نزار، قصائد مختارة، 34.

07. برزق، الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، 597/2.

08. برزق، الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، 493/1.

09. العبوشي، فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للمجاهد الراحل(برهان الدين العبوشي)، 101.

10. عيد، رجاء(د.ت): لغة الشعر(قراءة في الشعر العربي المعاصر)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 94.

11. أبو نزار، قصائد مختارة، 35.

12. المرجع نفسه، 35.

13. أبو نزار، قصائد مختارة، 34.

14. المرادي، ابن أم قاسم(1992): الجنى الداني في حروف المعاني، فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 60.
15. أبو نزار، قصائد مختارة، 35.
16. دراوشة، حسين(2017): لغة نصوص الخطاب ودلالاتها في بنية القصيدة الثورية المقاتلة في ديوان "الكناري اللاجئ" للشاعر الراحل يحيى برزق(الإنسان الثائر)، مؤسسة نور للنشر، ألمانيا، 100.
17. العبوشي، فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للمجاهد الراحل(برهان الدين العبوشي)، 101.
18. أبو نزار، قصائد مختارة، 35.
19. الحداد، علي(1986): أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، دار الشؤون الثقافية، ط1، بغداد، 80.
20. العبوشي، فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للمجاهد الراحل(برهان الدين العبوشي)، 101.
21. الطيب، عبد الله(1970): المرشد لفهم أشعار العرب، الدار السودانية، ط2، الخرطوم، 45/2.
22. عبد الرحمن، إبراهيم(1981): قضايا الشعر في النقد الأدبي، دار العودة، ط1، بيروت، 132.
23. الكبيسي، عمران(د.ت): لغة الشعر العراقي، وكالة المطبوعات، الكويت، 185 والملائكة، نازك(1967): قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، ط2، القاهرة، 230 وعاشور، فهد(2004): التكرار في شعر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات، ط1، بيروت، 35.
24. برزق، لغة نصوص الخطاب ودلالاتها في بنية القصيدة الثورية المقاتلة في ديوان "الكناري اللاجئ" للشاعر الراحل يحيى برزق(الإنسان الثائر)، 120.
25. أبو نزار، قصائد مختارة، 34.
26. عتيق، عبد العزيز(2009): علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 115.
27. برزق، الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، 801/2.
28. مطلوب، أحمد(1980): أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات، ط1، الكويت، 110.
29. أبو نزار، قصائد مختارة، 33-34.
30. أبو نزار،قصائد مختارة، 34.
31. أدونيس(1984): الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، 77.
32. الدسوقي، محمد(2008): شعرية الفن الكنائي بين (البعد المعجمي والفضاء الدلالي المنفتح)، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، الإسكندرية، 109.
33. الدسوقي، شعرية الفن الكنائي بين (البعد المعجمي والفضاء الدلالي المنفتح، 110.
34. قطب، سيد(1980): التصوير الفني في القرآن، دار المعارف، القاهرة، 63-64.
35. السعدني، مصطفى(د.ت): الصورة الفنية في شعر محمود حسن إسماعيل، منشأة المعارف، الإسكندرية، 87.
36. دراوشة، حسين(2017): اللغة الشاعرة وجماليات دلالاتها في ديوان غزة ريحانة القلب للشاعر محمود مفلح، بحث منشور في أعمال اليوم الدراسي:" محمود مفلح شاعر وقضية"، مؤسسة إحياء التراث وتنمية الإبداع، غزة، 142.
37. أبو نزار، قصائد مختارة، 34.

38. أبو شمالة، فايز(2003): السجن في الشعر الفلسطيني 1967-2001م، المؤسسة الفلسطينية للإرشاد القومي، ط1، رام الله، 331.
39. دراوشة، حسين(2016): تحولات لغة الخطاب في الشعر الفلسطيني بعد اتفاقية أوسلو - دراسة لسانية تداولية، بحث منشور في كتاب أعمال مؤتمر:" مؤتمر التحولات الموضوعية في القضية الفلسطينية بعد أوسلو"، الجامعة الإسلامية، غزة، 775.
40. أبو نزار، قصائد مختارة، 34.
41. عيد، رجاء(1995): القول الشعري "منظورات معاصرة"، منشأة المعارف، الإسكندرية، 210.
42. العبوشي، فارس السيف والقلم الأعمال الأدبية الكاملة للمجاهد الراحل(برهان الدين العبوشي)، 101.
43. إبراهيم، عبد العليم(د.ت): الإملاء والترقيم في الكتابة العربية، مكتبة غريب، القاهرة، 102.
44. دراوشة، اللغة الشاعرة وجماليات دلالاتها في ديوان غزة ريحانة القلب للشاعر محمود مفلح، 140.
45. برزق، الأعمال الشعرية الكاملة "الكناري اللاجئ"، 703/2.
46. الفيصل، سمر(1995): بناء الرواية العربية السورية 1980-1990، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 256.